حوار صريح مع الابن الوحيد

للشاعر بدر شاكر السيّاب

❖ والدي عاش مضطهداً سياسياً واجتماعياً وعانى كثيراً.

يطلق بعض النقاد على الشاعر الراحل بدر شاكر السيّاب، لقب « أبو الشعر الحديث»، فقد أحدث خلال حياته ثورة كبيرة في عالم الشعر وأسهم بإضافة كل ما هو جديد ومؤثر من خلال مدينته الشعرية ذات الطراز الخاص.

الصحفية سميرة التميمي أجرت حواراً مع غيلان، الابن الوحيد للسيّاب الذي يعيش في أمريكا منذ /٢٣/ سنة، والذي تردد اسمه كثيراً في قصائد والده. وننشر النص الكامل للحوار، نظراً لأهميته، وللتوثيق الأدبي:

❖ لنتعرف أولاً على أبناء وأحفاد السيَّاب وزوجته.

❖ ❖ نحن ثلاثة، غيداء، البنت الكبرى وتعمل مهندسة كهرباء، وآلاء خريجة كلية الإدارة والاقتصاد، متزوجة ولها ثلاثة أولاد، وأنا متزوج من طبيبة أسنان ولي ولد اسمه بدر في عامه الثامن، وبنت اسمها لينا في شهورها الأولى، وأعمل مهندساً مدنياً في إحدى المؤسسات الهندسية في الولايات المتحدة الأمريكية. وما زالت والدتي تعيش في البصرة مع العائلة.

❖ ما الذي تتذكره عن الوالد ؟

❖ ❖ للأسف قضيت مع والدي طفولة قصيرة، فقد توفي وأنا في عامي السابع، لكن ذاكرتي لا تزال تختزن كماً لا بأس به من الذكريات التي تتعلق في الغالب بمرض الوالد وأسفاره. ورحلتي مع والدتي إلى لبنان وسورية والكويت لمرافقته في العلاج، والآن حين استعيد تلك الفترة، أدرك ما كان يعانيه والدي، وما كان يكابده من مشقة حتّى يبدو مرحاً وطبيعياً أمام أولاده، رغم أن الآلام كانت تعوقه عن الحركة وتشل جسده.

obeikandl.com

❖ وكيف تعايشت مع تلك المرحلة ؟

❖ ❖ بسبب أعمارنا الصغيرة، لم نكن أنا وأختي قادرين على استيعاب ما يحدث ووضعه في خانة «التعاسة» أو «الحرمان» فقد كنا نلعب ونلهو ونعيش يومنا كبقية الأطفال، لكن مرحلة الإدراك جاءت لاحقاً بعد وفاة الوالد، وبدأ معها الإحساس العميق بالفقدان واليتم، وهذا ما عجّل في نضجنا وجعلنا أكثر قدرة على امتصاص المرارة واختزان الألم.

❖ بصفتك ولداً وحيداً، هل شعرت بالمسؤولية إزاء الأسرة ؟

❖ ❖ لا أعتقد ذلك. فقد أكرمني الله بأم كبيرة القلب، كانت هي الراعي للأسرة، إضافة إلى أخوالي الخمسة، الذين حاولوا التخفيف عن معاناتنا بالعطف والوجود في حياتنا والتواصل معنا على قدر ما يستطيعون، كما أن والدتي تولّت الأمور المادية للأسرة، فقد كانت معلمة في إحدى مدارس البصرة قبل وفاة والدي، واستمرت بعده حتّى سن التقاعد.

❖ وماذا عن أصدقاء والدك ؟

❖❖ عانى والدي من جحود أصدقائه، كما أن كثيراً من أولئك الذين أدعوا الصداقة وكتبوا المقالات، وشاركوا في احتفالات تقام باسمه لم يكن لهم وجود عندما احتاجهم، بخاصة خلال فترة مرضه ومعاناته، بل إن بعضهم من أصدقائه العراقيين شاركوا في محاربته واضطهاده خلال حياته.

❖ ما الذي منحك إياه اسم بدر شاكر السيّاب ؟

❖ ❖ أشياء كثيرة لعلّ أهمها الشعور بالفخر، والمسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق الابن تجاه اسم وتراث أبيه.

❖ هل ثمة توجهات أدبية لدى أولاد السيَّاب ؟

❖ ❖ أيام الثانوية والجامعة، بدأت أختي الكبرى غيداء بكتابة القصة القصيرة، كما كتبتُ أنا عدة محاولات شعرية في مطلع الشباب، لكننا لم نجرؤ على النشر، لأن وضعنا كان صعباً بحكم اسم الوالد الذي يجعلنا تحت المجهر والمراقبة، إضافة إلى رقابتنا الثانية على أنفسنا، فقد كنا نخاف ألاَّ نكون

بالمستوى الذي يتوقعه الناس من أولاد السيَّاب، لذا ابتعدنا عن النشر، وخفت عندنا جذوة الكتابة.

❖ خلال مناظرات حول الريادة في الشعر الحر، ما زال أغلب النقاد يضعون اسم السيَّاب في المقدمة، في حين لا يفعل هذا قلة، ماذا تقول أنت ؟

❖ ❖ أنا أقول ما كان يردده والدي: « ليس المهم الريادة وإنما الإجادة في الشعر، فربما يأتي من المتأخرين من يتفوق على الأولين، ولا يشفع لشاعر كونه أول من طرق هذا الباب أو ذاك قبل غيره ـ المهم أن يكتب ـ فيجيد ».

❖ ما أكثر ما تحرص عليه من مقتنيات والدك ؟

❖ ❖ أكثر ما أحرص عليه مسودّات ومشاريع القصائد المكتوبة على قصاصات الورق، التي فُقد جزء كبير منها وتسرب آخر، بسبب ظروف الأسرة، فقد اضطررنا إلى ترك الدار التي كنا نسكنها في حياة أبي، بناء على أمر رسمي صادر من مصلحة الموانئ في البصرة، بسبب استنفاد والدي لإجازاته المرضية مما دعاهم إلى فصله وإجباره على ترك البيت، وقد تزامن ذلك مع وصول جثمان والدي من الكويت، وكان هنالك ارتباك شديد في الأسرة، مما أدى إلى فقدان كثير من الأوراق المهمة.

❖ ربما لم تكن عائلتكم تعطي أهمية لتلك الأوراق ؟

❖ ❖ لا أعتقد ذلك. فقد وضعت العائلة لاحقاً، كل مقتنات الوالد في صناديق مقفلة، لكن كان يأتي إلى بيتنا زوّار ورجالات الصحافة من بلدان عربية متعددة، ويطلبون صوراً وقصائد وقصاصات، وكنا نعطي من يشاء على أمل أن يكون أهلاً للثقة ويعيدها إلينا، وأعتقد أن الكثير قد فقد عن هذا الطريق، وللأسف أرى الآن على صفحات الانترنت مخطوطات لقصائد والدي بخط يده، يملكها أشخاص لا يمتون له بصلة، كما أنهم لم يعاصروه أصلاً.

❖ حاول المطرب سعدون جابر إنتاج مسلسل عن حياة الشاعر السيَّاب، لكن أوقفت هذا المشروع، لماذا ؟

❖ ❖ القضية بدأت عندما نشرت مجلة عراقية خبراً عن قرب انتهاء المطرب سعدون جابر من تصوير مسلسل عن حياة والدي، وقد قرأت العائلة الخبر واتصلت بالمطرب للسؤال عن سبب إلغاء دورها وعدم اشراكها سواء بالاستئذان، أو المشورة، أو حتّى في قراءة السيناريو، وكان ردّ الفعل الطبيعي أن نطالب بإيقاف العمل، لكنهم هددوا بإلزامنا بدفع تكاليف الحلقات المصورة في محاولة منهم لإرهابنا وتخويفنا، لكن أختي آلاء استمرت بالقضية وكسبتها، لا سيما أن المسلسل عمل درامي يتطرق للحياة الشخصية والعاطفية لوالدي، ويتحدث عن شخصيات لا تزال بيننا، ولو كان المسلسل ثقافياً أو توثيقياً لما أوقفناه بالتأكيد.

❖ في لقاء صحفي أجريته مع الفنان سعدون جابر أكد لي أن العائلة كانت تطالب بمبلغ كبير من المال ؟

❖ ❖ هذا كلام غير صحيح، وقد كذّبته أنا في ردّ نشرته لي جريدة «الشرق الأوسط» مشكورة، والحقيقة أن المال لم يكن في حسبان العائلة، ونحن لا نبيع تراث والدنا بأي ثمن، لكننا طالبنا فقط بحقنا القانوني في أن يكون لنا رأي في ما يعرض، والدليل على قولي إن القضية التي رفعتها أختي هي دعوى مدنية، ومثل هذه الدعاوى لا تتضمن أي تعويض مادي.

❖ أهي المرة الأولى التي يلغى فيها دور عائلة الشاعر السيَّاب في أمور تتعلق به؟

❖ ❖ لا بالتأكيد لأنه على الرغم من أن تراث والدي لا يزال يتمتع بقانون حماية الملكية الفكرية، ولم يمر على وفاته خمسون سنة بعد، إلا أنّه يتعرض للاستغلال، وخير مثال على ذلك ما تفعله إحدى دور النشر التي حصلت في عام ١٩٧٠ على حقوق نشر المجموعة الشعرية الكاملة لمدة خمس سنوات فقط، إلاَّ أنّها لا تزال تطبع وتوزع المجموعة نفسها وتضع في مقدمة الكتاب عبارة «حقوق النشر محفوظة».

❖ « جيكور» القرية التي ولد فيها الشاعر و « بويب »، النهر الذي تغفو على جانبيه غابات النخيل، ما الذي بقي منها للعيان ؟

❖ ❖ تردد اسم «جيكور» و «بويب» في كثير من قصائد والدي، والحقيقة أن جذور العائلة لم تنقطع عن هذه القرية، وعن قرية أخرى تدعى «بكيع»، وفيها

«منزل الاقنان» و «دار جدي»، ومنازل كثير من أعمام والدتي وأبناء عمومتي، لكن الحرب العراقية الإيرانية التي نشبت عام ١٩٨٠، طالت هذه الأماكن كما سمعت من أهلي وأصابها الدمار والإهمال وحولها إلى أطلال وخرائب.

❖ لكن كان يمكن بعد ذلك أن تتحول هذه الأماكن إلى متحف يضم آثار الشاعر ؟

❖ ❖ أتفق معكم في هذا، وأذكر أن وزارة الثقافة العراقية كانت اشترت في السبعينيات دار جدي ورمّمته من أجل تحويله إلى متحف، لكن المشروع لم يكتمل وأهملت الدار من جديد.

❖ وهل في ذهنك مشروع ما ؟

❖ ❖ كان هناك اقتراح قديم لتحويل بيتنا في منطقة المعقل، التابعة لمديرية الموانئ في البصرة إلى متحف شخصي، بخاصة أنه البيت الذي عاش فيه والدي السنوات الأربع الأخيرة من حياته، وشهد مرحلة نضجه الشعري، وكان من الممكن أن نبقي على كل شيء في مكانه، الأثاث ومنضدة الكتابة، لكن تنفيذ ذلك صار مستحيلاً الآن، بعد أن هدمت مديرية الموانئ البيت وأزالته من الوجود لأسباب لا أعرفها بالضبط بسبب ابتعادي عن العراق منذ حوالي عشرين سنة.

❖ ما الذي تعنيه لك قصائد الوالد التي يتردد فيها اسمك ؟

❖ ❖ لا يمكن أن يمسني عاطفياً ووجدانياً أي شيء، بقدر ما تثيرني وتمس أعماقي البعيدة القصائد التي يخاطبني فيها والدي، كابن أحياناً، وكرمز للطفولة والمستقبل في أحيان أخرى.

❖ هل ترى أنَّ السيَّاب قد أخذ ما يستحقه ؟

❖ ❖ كشاعر نعم، فقد أخذ والدي المكانة التي يستحقها بعد أن شق طريقه بالصخر، أما على صعيد الحياة، فأعتقد أنّه عاش مضطهداً، سياسياً واجتماعياً.

❖ بأي الكلمات تصف والدك ؟

❖ ❖ السيّاب الأب، كان قلباً مليئاً بالطيبة والحنان والرقة، والسيّاب الشاعر كان مخلصاً للشعر غاية الإخلاص، يكتب بكل كيانه، ويحس بكل كلمة يكتبها.

❖ وماذا تريد أن تقول له ؟

❖ ❖ أقول له كلمات أستعيدها من إحدى قصائده «... أود لو أراك ».

obeikandl.com